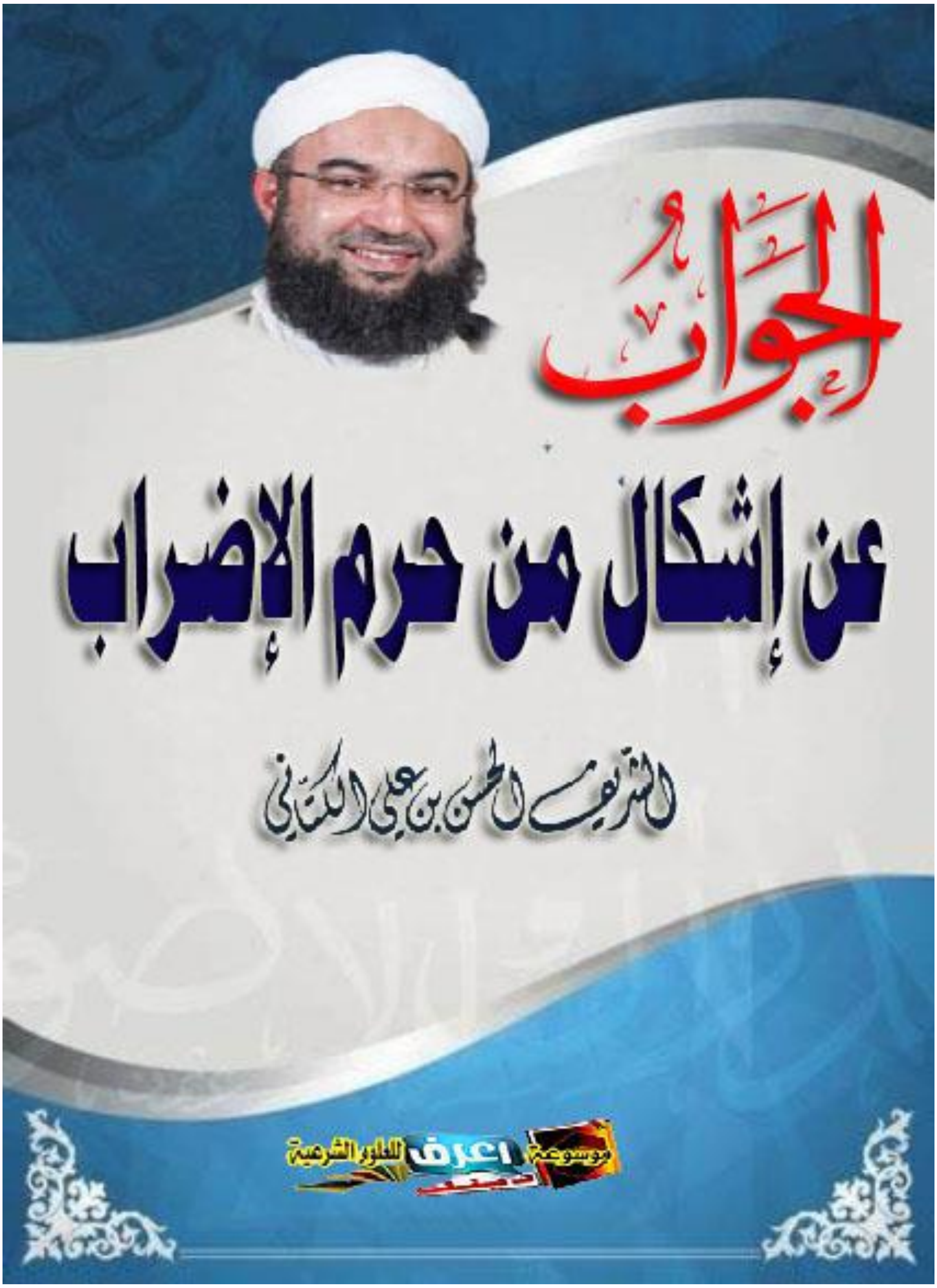

الجواب
عن إشكال من حرم الإضراب
الشريف الحسن بن علي الكتاني
موسوعة اعرف للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب
عن إشكال من حرم الإضراب

الحسن بن علي الكتاني

مقدمة



الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على الحبيب محمد إمام المتقين وقائد الغر المحجلين وآله الأطهار المكرمين وصحابته الأبرار المجاهدين رضوان الله عليهم أجمعين.

أما بعد، فإن العديد من الناس استنكروا علينا خوض الإضراب عن الطعام، وزعموا أن ذلك لا يجب بل هو من إلقاء النفس إلى التهلكة، وضرب من ضروب الانتحار، كما أن فيه تشبها بالكفار إذ هم أول من سلك هذا المسلك.

وقد كنت منذ سنوات جمعت جملة من الأدلة والنقول في الاحتجاج لمشروعية هذا المسلك وذكر من فعله من السلف والأئمة، رحمهم الله تعالى، غير أن تلك الورقة ليست بين يدي الآن، فأحببت أن أعيد صياغة تلك الحجج والأدلة لتوضيح هذه المسألة والجواب عن هذه النازلة.

والحق أنني أنا نفسي كنت قبل الابتلاء بالسجن وما فيه من أهوال أنكر على من كان يخوض الإضرابات عن الطعام، غير أن أهل العلم قد نصوا في كتب آداب الفتوى، ومنهم الإمام أبو عبد الله بن قيم الجوزية، رحمه الله، في كتابه الجليل "إعلام الموقعين"، على أن من شروط إصدار الفتوى العلم بالواقع، ولذلك فإن من لم يعلم حال السجون وما يلاقيه الدعاة والصالحون فيها من إهانة واضطهاد، وألوان الاستفزازات لهم ولأهاليهم، وكيفية دفع ذلك وسبله، لا يجوز له أن يتكلم في هذه الأمور.

قبل الخوض في الموضوع أحب أن أبين أن هذه الأدلة كان قد اطلع عليها المشايخ الفضلاء معنا قبل افتراقنا ووافقوا على مضمونها وهم: أبو عبد الحليم محمد بن

محمد الفزازي وأبو الفضل عمر بن مسعود الحدوشي وأبو حفص محمد عبد الوهاب الرفيقي، فرج الله عنا وعنهم.

كما أن جماعة من العلماء المشاهير في العالم الإسلامي ممن لهم اطلاع على أوضاع المسلمين، ومنهم من ابتلي بالسجن، أجازوا الدخول في هذا الأمر عند الضرورة ومنهم: يوسف بن عبد الله القرضاوي وناصر العمر وسلمان بن فهد العودة وأبو محمد عاصم بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرهم كثير. وهذا أوان البدء بالموضوع والله المستعان وعليه التكلان.



تمهيد..

اعلم، فرج الله عني وعنك، أن الله تعالى قد حرم الظلم وشدد في ذلك وقال سبحانه (غافر: ١٨): (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وقال جل وعلا (الحج: ٧١): (ما للظالمين من نصير).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) رواه مسلم (٢٥٧٨).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ (هود: ١٠٢): (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)). متفق عليه (خ. (٤٦٨٦)، م. (٢٥٨٣)).

وفي حديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - اليمن: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). (متفق عليه (خ. (١٤٥٨)، م. (١٩)). والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وقد جاء الإسلام ليعز أهله ويرفع من شأنهم فوق العالمين فيكونوا أعزة كرماء لا يقبلون الذل والهوان، ويأبون الضيم والخسف. فقال تعالى (المنافقون:٨): (و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون). وقال سبحانه (الفتح: ٢٩): (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم).

قال الحافظ بن كثير، رحمه الله، في تفسير هذه الآية:

"وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكافر، ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن".

قال أبو محمد: الكافر هنا هو المعادي المحارب، ومثله الفاسق المجاهر بالمعاصي المؤذي للصالحين.

وقال تعالى (المائدة:٥٤): (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم).
قال ابن كثير رحمه الله:

"هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه".

وقد روى الإمام أحمد في "مسنده (١١٤٩٤): عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم).

و روى ابن ماجة (٤٠٠٨): عنه كذلك مرفوعا: (لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه). وصححه البوصيري في "الزوائد".

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الإسلام يعلو ولا يعلى).حسنه الحافظ بن حجر.

وروى ابن إسحق في "سيرته" عند ذكر غزوة أحد فقال: فبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اللهم لا ينبغي لهم أن يعلون)، فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط معه حتى أهبطوهم من الجبل.

رواه عنه ابن هشام (٣/ ٤٩) وجاء في معناه حديث ابن عباس الذي رواه أحمد (١/ ٢٨٧) والحاكم (٢/ ٢٩٦) وهو صحيح.
وقد جعل الله في هذا العالم قانون التدافع فقال سبحانه (البقرة:

٢٥١): (و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين).

وقال تعالى (الحج:٤٠): (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله وولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر اسم الله فيها كثيرا).
قال ابن كثير رحمه الله: "أي أنه لولا أنه يدفع بقوم عن قوم، ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوي الضعيف".

قال أبو محمد: ومن الأسباب التي خلقها الله في زماننا ما اتفقت عليه أمم الأرض من احترام حقوق الإنسان وعدم الرضا بانتهاكها وإنشائهم الجمعيات لذلك وكتابتهم التقارير ضد منتهكها، بل ومحاسبتهم لمن فعل ذلك ومعاقبته. ولاشك أن المسلم ينتفع بذلك فيما لا يخالف شريعة الله تعالى، كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ينتفعون بما كان يتعارف عليه العرب في الجاهلية من الجوار وحماية القبيلة وما إلى ذلك، والله الموفق والمسدد.



في الأدلة النقلية للإضراب

١. قول الله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وقرأ نافع: (ولولا دفاع الله) وكذلك آية الحج آنفة الذكر. و كل من دخل السجن مظلوما في هذه الأيام يعلم علم يقين أن الإضراب عن الطعام من أعظم وسائل دفع الظلم ورفع الذل والهوان، وذلك لأن مقررات حقوق الإنسان تلزم المسؤولين الحفاظ على حياة السجين أو الأسير ومنعه من الهلاك. و لذلك قلما هلك إنسان بسبب الإضراب عن الطعام، بل إنه إذا صبر وصابر يخرج معززا مكرما وتلبى له الكثير من الطلبات، خاصة إذا صاحب ذلك ضغط إعلامي قوي، وهذا أمر قد جربناه ورأينا نتائجه العجيبة بحمد الله تعالى.

بخلاف من ركن واستسلم فإنه يهان ولا تحفظ له كرامة ولا لأهله. وتأخذ حقوقه الواحدة تلو الأخرى أمام عينيه وهو لا حول له ولا قوة.

٢. قصة أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، رضي الله عنه. و ذلك أن يهود بني قريظة لما نقضوا عهدهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاصرهم، وطلبوا منهم أن يستشيروا أبا لبابة، فأرسله فلما أتاهم قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان

يبكون في وجهه، فرق لهم. وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد (- صلى الله عليه وسلم -)؟ قال: نعم، وأشار إلى حلقه بيده أنه الذبح. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى أموت أو يتوب الله علي مما صنعت، وعاهد الله ألا يطأ بني قريظة أبدا وتاب الله عليه بعد ذلك.

و هذه القصة رواها أحمد في "المسند" من حديث عائشة رضي الله عنها بسند حسن، وهذا سياق ابن سعد في "الطبقات" (٣/ ٧٤).
وقد روى أبو نعيم في "دلائل النبوة" (٤/ ١٧) وابن مردويه في تفسيره أن (آية التوبة ١٠٢): (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا إن الله غفور رحيم) نزلت في توبة أبي لبابة رضي الله عنه. غير أن في سنده الواقدي وهو إمام في السير لكنه متروك في الحديث

و الشاهد من هذا الحديث أنه ارتبط إلى سارية المسجد إلى أن يتوب الله عليه أو يموت. والظاهر أن موته لترك الطعام. وهو عين مسألتنا، فإنه لو كان آثما بفعله لما أقره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
٣. وقد روي أن أبا لبابة وبضعة رجال من الصحابة تخلفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك فارتبطوا إلى سوار المسجد وعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو من يطلقهم. فلم يفعل حتى نزلت تلك الآية. وقد وردت هذه القصة بعدة روايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفاسير ابن مردويه وابن أبي حاتم وابن جرير وعبد بن حميد، بأسانيد لينة يقوي بعضها بعضا.

والشاهد منها مثل الذي ذكر في سابقتها.

٤. وأصرح وأقوى من ذلك كله ما جاء في سيرة ابن إسحق في قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه. قال ابن إسحق، رحمه الله: وكان ممن لقيه (- صلى الله عليه وسلم -) بالطريق أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه (- صلى الله عليه وسلم -)، وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته (- صلى الله عليه وسلم -) أخو أم سلمة أم المؤمنين، لقياه بالأبواء، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال (- صلى الله عليه وسلم -): (لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال).

فلما خرج إليهما الخبر بذلك قال أبو سفيان ومعه بني له: والله ليأذنن لي أو لآخذن ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا. فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك رق لهما وأذن لهما.

والحديث رواه الحاكم في "المستدرك" (٣/ ٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٥/ ٢٧). والشاهد واضح بين فإن أبا سفيان قرر أن يسيح في الأرض هو وولده الصغير دون أكل ولا شرب إلا أن يقبله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقد أثر ذلك في الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فعفا عنه وقبله. وهذا عين ما يفعله المضرب، بل أقل منه؛ فتأمل هذا الدليل فإنه قوي.





في أفعال بعض السلف ممن يقتدى بهم

ويحضرني من ذلك ثلاث قصص:

١. قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه، فإنه كان قد أسره الروم زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجهد به طاغيتهم في أن يترك دينهم ويزوجه ابنته ويقاسمه ملكه، وهدده بالقتل، فرفض ذلك كله.

وكان في سجنه يقدم له لحم الخنزير فترك الطعام حتى كاد يهلك جوعا حتى لا يشمت الكفار في المسلمين. وقد أطلقه الطاغية بعد ذلك لما رأى من عظيم صبره وصموده.

وقد روى القصة الحافظ بن عساكر رحمه الله في "تاريخ دمشق" وأورده الكاندهلوي في "حياة الصحابة" وغيره.

٢. إمام السنة وأهلها أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، رحمه الله تعالى. فقد طول الحافظ الذهبي، رحمه الله تعالى سيرته في كتابه الجليل "سير أعلام النبلاء"، وكان مما أورده أن الإمام لما اعتقل أبى أن يأكل شيئا ممن يعطونه تورعا عن طعام الظلمة حتى كاد يهلك.

ثم لما رفعت المحنة واستدعاه الخليفة المتوكل إكراما له وأنزله في قصره أبى أن يأكل لنفس السبب، فرقت له أم الخليفة وقالت لابنها: أطلق هذا الرجل ليرجع لبيته فإنه ليس من رجال الدنيا. فتركه الخليفة.

وقد ضعف الإمام كثيرا بعد ذلك إلى أن توفي سنة ٢٤١ هـ، رحمه الله رحمة واسعة.

٣. الملك الصالح المجاهد نور الدين زنكي، رحمه الله. أورد الحافظ الذهبي، رحمه الله، في ترجمته من "سير أعلام النبلاء" أنه استعصى عليه فتح موقع من يد الصليبيين، فقرر ترك الطعام والاعتكاف على العبادة إلى أن ينصره الله تعالى، فكان النصر بعد عشرين يوما.
هذه قصص لرجال فيهم إسوة تركوا الطعام لسبب من الأسباب حتى كادوا يهلكون، بل إن الإمام أحمد، رحمه الله، تأثرت صحته بذلك ولم يكونوا في ذلك ملامين لحسن مقصدهم وسلامتهم.
وفي عصرنا الحاضر نماذج لعلماء ودعاة صادقين خاضوا الإضراب عن الطعام لنيل حقوقهم داخل الأسر، وفي فلسطين أعادها الله دار إسلام نماذج من ذلك مشرفة، وعلى رأس ذلك الشيخ المجاهد رائد صلاح، حفظه الله، رئيس الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة، فإنه خاض مع أصحابه مرة إضرابا لمدة شهر في السجون الإسرائيلية حتى نال حقوقه

وكذلك الشيخ الشهير أبو محمد المقدسي، حفظه الله، فإنه خاض إضراب طويلا لما سجن بدون محاكمة، حتى نال حقوقه وفرج الله عنه.
والإمام المحدث ناصر الدين الألباني، رحمه الله، ذكر في بعض أشرطته أنه مكث مدة أربعين يوما لا يشرب سوى الماء وإنما فعل ذلك للاستشفاء، وقد نفعه ذلك كثيرا في صحته.



في الأدلة العقلية

اعلم، بارك الله فيك، أن الشريعة الإسلامية مبناها على جلب المصالح ودفع المفاسد، وأن الفقه هو معرفة خير الخيرين وأقل الشرين.

والناظر في أحوال السجون وما فيها من طغيان على المساجين وهضم لحقوقهم، وخاصة من كان سجينا سياسيا، يجد أنه قلما نال السجين حقه بغير إضراب عن الطعام.

ونحن أول ما ابتلينا في هذه المحنة لم يكن لدينا حق البتة وكنا محرومين من كل شيء بما في ذلك المصحف الشريف، مع الانعزال التام عن العالم الخارجي والزيارة لمدة عشر دقائق من وراء شبكة يراقبنا سجان يحصي علينا الأنفاس.

ولم نتمكن من نيل حقوقنا وكسر هذا النير إلا بعد خوض سلسلة من الإضرابات، بل إن إضرابنا الوطني في ربيع الأول سنة ١٤٢٦ ه نتج عنه إطلاق سراح عدد كبير من الإخوة عبر دفعات متعددة، ولولا تهور من لا يدرك عاقبة الأمور لكان من الممكن إنهاء المحنة من أصلها، فالله المستعان.

هذا مع عدم وجود ضرر كبير أو هلاك نفوس أو عطب عضو من أعضاء أجسادنا.

ومما يجدر ذكره أن التجويع أصبح دواء تبنى له مستشفيات ويتخصص فيه أطباء، وصنفت فيه مؤلفات هامة ويسمى (التجويع الطبي).



في رد أدلة المخالفين

قال المخالفون: إن خوض الإضراب عن الطعام ضرب من ضروب إلقاء النفس إلى التهلكة، وقد قال تعالى (البقرة: ١٩٥): (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين).

قلنا: هذا يقتضي النظر في سبب نزول هذه الآية الكريمة حتى نفهمها فهما سليما، فإن كثيرا من الناس يضعونها على غير مواضعها.

فقد أخرج الطبراني بسند صحيح كما قال الحافظ السيوطي في "لباب النقول" (رقم:١٠٦) عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله، فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج أيضا بسند صحيح كما قال الحافظ السيوطي (رقم ١٠٧) عن النعمان بن بشير قال: كان الرجل يذنب الذنب فيقول: (لا يغفر لي) فأنزل الله هذه الآية، وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم في "المستدرك على الصحيحين".

وأصح من هذا ما رواه البخاري رحمه الله في "صحيحه" (٤٥١٦) عن حذيفة رضي الله عنه قال: "نزلت في النفقة".
قال أبو محمد: وهذا يؤيد السبب الأول، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان. كما حكى ذلك عنهم الحافظ ابن كثير في تفسيره.

وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا. صحبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهدنا معه المشاهد ونصرناه لما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار

تحببا فقلنا: قد وضعت الحرب أوزارها سنرجع إلى أهلينا وأولادنا سنقيم فيهما فنزلت هذه الآية. فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.

رواه الترمذي (٣١٥٣) وقال حسن غريب.

ورواه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم.
فتبين من هذا أن ترك مقاومة الظلم والاستسلام للواقع هو التهلكة لأنه ربما أقبر صاحبه في السجن حيا حتى يموت شيئا فشيئا. فأما خوض الإضراب فيسمع الصوت ويرفع بعض الظلم، وقلما هلك به إنسان.
وبالله نتأيد.

قال المخالفون:

الإضراب ضرب من ضروب الانتحار، وقد علمتم ما جاء في ذلك في الكتاب والسنة وأنه من كبائر الذنوب والمعاصي.

قلنا: هذا غير صحيح البتة، فإن المضرب لا يقصد الموت ولا ينويه ولا يريده، ولكنه يضغط على عدوه وظالمه بهذا الأسلوب لأنه يعلم أن الناس لي يتركوه للهلاك. فبطل ما يقولون من أصله. على أننا لو سلمنا ذلك وأنه قد يهلك المضرب أوقد يعطب فإن جماعة من العلماء قد أجازوا ذلك إذا كان فيه رفع الظلم عن نفسه أو إخوانه ولا يبعد أن يكون وسيلة من وسائل الجهاد لدفع ظلم الظالمين. إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها. وانظر إلى قصة الغلام والراهب وكيف دل الغلام الملك الطاغية على الوسيلة التي يمكنه بها قتله ففدى شعبه كله بنفسه، وذكر ذلك لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في معرض الثناء والمدح. والقصة أخرجها مسلم في صحيحه (٣٠٠٥) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

قال المخالفون:

هذا من التشبه بالكفار فإنهم أول من استحدث هذه الوسيلة في السجون.
قلنا: فكان ماذا؟! وهل حرم الشرع الانتفاع بالحكمة إذا جاءت من كافر؟ وقد قيل: "إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها". ويروى حديثا ولا يصح.

وإنما نهينا عن التشبه بهم فيما هو من خصائصهم أو ما هو من شعائر دينهم، وإلا فإن تجاربهم البشرية مما ينبغي أن نستفيد منه فيما لا يخالف ديننا.

ألا ترى أننا نستفيد من علومهم ووسائل الحرب والسلم والرفاه الجديدة التي استحدثوها، كما استفادوا هم من علومنا قديما، فإن التجارب البشرية حق مشاع لكل الأمم.

على أنني بينت لك، بحمد الله أصل هذا الأمر من الكتاب والسنة وفعل السلف والأئمة والله المؤيد والموفق.

خاتمة

ختم الله لنا بالحسنى وزيادة.

وبعد هذه الفصول يتبين لنا الأمور التالية:

١. أن للإضراب عن الطعام أصل في ديننا الحنيف.
٢. أنه من أعظم الوسائل دفع الظلم أو تقليله داخل السجون.
٣. أن جماعة من العلماء المعاصرين أفتوا بجوازه وهم ممن له إطلاع على أوضاع السجون وفقه في الواقع.

٤. أن أدلة المخالفين مردود عليها كلها. ولست أزعم بطلانها، حاشا وكلا، فإن القائلين بها علماء فضلاء. ولكن هذا ما ظهر لي بعد استخارة ربي سبحانه وتعالى ونظر. فإن كان صوابا فمن الله سبحانه وتوفيقه لي، وإن كان خطأ فمن نفسي الخاطئة والشيطان، والله سبحانه بريء من ذلك ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.
وهذا آخر ما قصدته في هذه الرسالة، وقد كتبتها وأنا مضرب عن الطعام أشكو إلى الله ظلم الظالمين في زنزانتي الصغيرة بسجن عكاشة بالدار البيضاء في المغرب الأقصى يوم ٢٣ ذي الحجة سنة ١٤٣٠ هـ.

وكتبه:
حسن بن علي بن المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني الحسني

ملحق الفتوى التي صدرت في إضراب ١٤٢٦ هـ

الظاهر أن جواز الدخول في الإضراب عن الطعام إذا رجا الأسير المسلم نيل حقوقه ورفع الظلم عن نفسه واسترداد كرامته، وليس هذا من الانتحار وإهلاك النفس في شيء، بل إن المرء بذلك يكون مأجورًا بإذن الله تعالى، خاصة إذا قصد نصرة إخوانه ورفع الظلم عنهم والخروج من الذل والهوان. والدليل على ذلك أمور:
١. عموم آيات طلب العزة للمسلمين ونصرتهم ورفع الذل والهوان عنهم، كقوله تعالى: {أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا} وقوله سبحانه: {و لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون}.
وما شرع الجهاد إلا لعزة المسلمين ونصرة المستضعفين وذلك برفع كلمة الله عالية، مع ما فيه من إزهاق النفس وهلاكها وضياع الأموال.
والمقصود أن أصل إزهاق النفس للضغط على العدو وإعزاز الدين موجود في تلك العمومات.

نعم، هذه العمومات لا تنهض دليلا بمفردها، لكن أدلة السنة والسيرة النبوية الآتية دليل على ذلك.

٢. فقد روى سعيد بن منصور في «السنن» عن عبد الله بن أبي قتادة قال: نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول} في أبي لبابة بن عبد المنذر، سأله بنو قريظة يوم قريظة: ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه، يقول الذبح، فنزلت. قال أبو لبابة: مازالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله.
وأخرج بن جرير عن الزهري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما حاصر يهود بني قريظة طلبوا الصلح فأمرهم أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا: أرسل لنا أبا لبابة، فبعثه - صلى الله عليه وسلم - إليهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى؟ أننزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه يعني أنه الذبح، قال أبو لبابة: والله مازالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله. فقال:

لا والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله علي. فنزلت الآية، ثم نزلت توبته.

نقول: فلم ينكر عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترك الطعام والشراب، بل إن القرآن كله لم ينكر ذلك عليه فيما نزل من توبته. فتأمل جيدًا.

وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك، وقالوا: نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يطلقها ففعلوا. وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم. فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوته، فقال: من هؤلاء الموثقون بالسواري؟ فقال رجل: أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، فعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم، فقال: لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم. فأنزل الله: {و آخرون اعترفوا بذنوبهم} الآية ١٠٢ من التوبة. فأطلقهم وعذرهم.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنها نزلت في سبعة، أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السواري، وهم: أبو لبابة، ومرداس، وأوس بن خذام، وثعلبة بن وديعة.

وأخرج أبو الشيخ الأصبهاني وابن منده في «الصحابة» من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: كان ممن تخلف في تبوك ... فذكر أسماءهم، وقصة شبيهة بما ذكرت. وقال السيوطي: إسناده قوي.

فأنت ترى أن قصة الربط في السواري تكررت، ولم يصرح هنا بترك الطعام والشراب، لكن الظاهر هو نفس ما حصل في القصة الأولى، خاصة وأن أبا لبابة هو صاحب القصة في الحالتين.
٣. جاء في السيرة أن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان صديقه في الجاهلية ومن أشبه الناس به. فلما جاء الإسلام أصبح من ألد أعدائه وأشدهم عليه لكونه ابن عمه وصديقه وأخاه من الرضاعة، وكان شاعرًا هجاءً.

ولعشر خلون من شهر رمضان المبارك سنة ٨ غادر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة إلى مكة في عشرة آلاف، فلما كان بالأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان وابن عمته عبد الله بن أبي أمية، وهو صهره أخو السيدة أم سلمة رضي الله عنهم جميعًا، فأعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذى والهجو، فالتمسا الدخول على رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال لا

حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال، (يعني قوله له: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلمًا إلى السماء فتعرج فيه ...).

فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُني له، فقال: والله ليأذن لي أو لآخذن بيد بُني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشًا وجوعًا، فلما بلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رق لهما، ثم أذن لهما فأسلما. وانظر «السيرة» لابن هشام، وغيرها من كتب السيرة عند ذكر فتح مكة وإسلام العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه.

نقول: فلم ينكر عليه ما كان قد عزم على فعله كما ترى. ورسول الله

- صلى الله عليه وسلم - لا يقر على باطل، بل قد رق لهما.
٤. وجاء في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه. وهو صحابي جليل، أسره الروم في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فكانوا يقربون إليه لحم الخنزير فابى أن يأكله حتى كاد يموت، فلما سئل عن ذلك قال: أعلم أنه جائز لي عند الضرورة، لكن كرهت أن أشمت أعداء الله في المسلمين فيقولوا: أطعمناه الخنزير رغمًا عنه. والقصة في كتب تراجم الصحابة المشهورة، وهي معروفة.
٥. جاء في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل. أنه لما ألقي عليه القبض في محنة خلق القرآن. وأدخل على الخليفة المعتصم، بقي صائمًا ورفض أن يأكل ما يقدم له من طعام الظلمة تورعًا منه، إلا سويقًا (شرابًا من الشعير) كان يأتيه به ابنه صالح أو عمه. وكذلك لما رفعت المحنة وأتى به الخليفة المتوكل لقصره رفض الطعام جملة لما فيه من الشبهة حتى كاد يهلك، فترجت الخليفة أمه أن يرجع الإمام لبيته، وقالت له: لا حاجة له في دنياكم. وبقي مريضًا بعد ذلك، حتى توفي رضوان الله عليه.

٦. وجاء في «السير» للحافظ الذهبي في ترجمة السلطان المجاهد نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى، أن العدو هاجم بعض بلاد المسلمين، فعاهد الله على الصيام والإفطار على الماء فقط حتى يفتح الله عليهم وينصر المسلمين، فبقي كذلك يدعو ويبتهل عشرين يومًا حتى نصرهم الله بمنه وكرمه.

٧. إمام أهل الحديث في هذا العصر محمد ناصر الدين الألباني، رحمه الله تعالى، ذكر عن نفسه أنه امتنع عن الطعام إلا الماء أربعين يومًا، قصد الاستشفاء.

٨. والإضراب عن الطعام مصلحة راجحة لما يكسبه لصاحبه من تعاطف وضغط الجمعيات الحقوقية. والضرر الذي قد يلحق

صاحبه من موت أو غيره نادر وقلما يحدث خاصة مع الضغط الإعلامي وما يصاحبه من تحرك.

تمت بحمد الله



صفحة الشيخ وكتبة في مكتبة نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%A8%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D9%86%D9%8A-pdf

صفحة الشيخ في الموسوعة

https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%A8%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D9%86%D9%8A-112212490637323/?ref=pages_you_manage